بُوحُ الخَاطِرِ

(الجزء الثاني)

عبد الرحمن محمد عسيري

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

محفوظة
جميع الحقوق

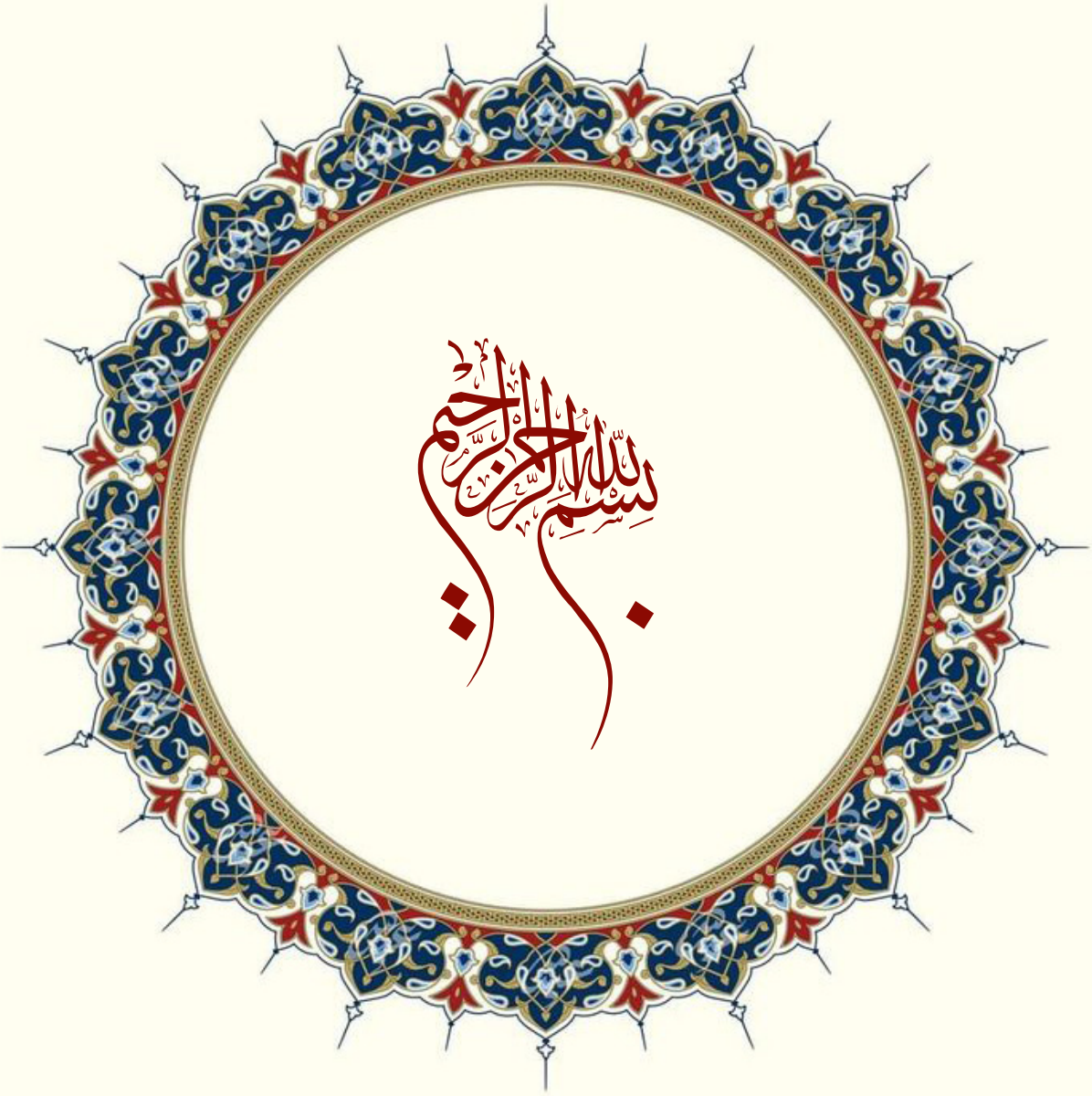
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمدُ للهِ الذي علَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلَم، والصلاةُ والسلامُ على معلِّمِ البشريّة، محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد:

فإنَّه بفضلِ اللهِ تعالى كان لكتاب بوح الخاطر في جزئه الأوّل قبولٌ وأثرٌ لامس القلوب، فكان ذلك باعثًا على تحمُّل أمانة الكلمة، ومواصلة الكتابة بوعيٍ ومسؤولية.

ويأتي هذا الجزء الثاني امتدادًا لذلك الأثر؛ مائة خاطرة متنوّعة، تتناول:

- معاني الكلمة وأثرها.
- وشؤون النفس والحياة.
- وقيم الأخلاق.
- والتربية.
- والطمأنينة.
- والارتباط بالله.

وهذه الخواطر هي نتاج قراءة، أو سـماع، أو ذكرى، أو فكرة، رجاء أن تكون قريبة من القارئ، ومتصلة بواقعه.

فإن وجد القارئ في هذه الصفحات ما يواسـي قلبه، أو يفتح له باب تأمّل، أو يقرّبه من الله، فذلك ما نرجوه، والله والموفق.

❊❊❊

(١) للكلمة وقعٌ

لا تُصَـدِّق أنَّ في الناس مَن لا تُوجِعه الكلمـة وتُثقِل على قلبه؛ فهذا نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول له ربُّه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٩٧] فكيف بمن دونه؟!

ولا تُصَدِّق أيضا أنَّ نفسًا لا تَسْعَد بالمدح الحسن، ولله المثل الأعلى؛ ففي الحديث الصحيح: «ليسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(١).

فالذمُّ موجـع، حتى لو كان صاحبه مُقصِّـرًا، والمدحُ طيبٌ للنفس، حتى ولو لم تَطلبه.

(٢) أثرٌ لا يُمحى

الكلمة إذا خرجتَ من فيكَ، فهي لَكَ أو عليك.

وقد تنطلقُ منك في لحظةٍ عابرة، لكنها تبقى دهورًا في قلبٍ آخر.

قـد ترفعُ بها نفسًـا كسـرتها الأيام، أو تكسـرُ بهـا قلبًا مـا عرفتَ قدر جراحه.

فاختر كلماتك كما تختار أغلى ما تملك، فالقلوبُ هشّة، والخواطرُ سريعةُ الانكسار،

(١) رواه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠).

والكلمةُ سهمٌ... إمّا أن تُصيبَ به خيرًا، أو تجرحَ به إنسانًا لا يُبوح.

فـإن لم تكن كلمـةٌ تُهذّب، أو تُواسـي، أو تُنير، فالصمـتُ في ميزان العقلاء كلام.

(٣) أنتَ حُرٌّ ما لم تَضُرّ

أنـت حرٌّ حيـن تنطق الكلمة الطيبـة؛ كلمةٌ تُنعش قلبًـا، وتربط على جرح، وتُضيء طريقًا لإنسان.

لكن الكلمة الجارحة، تلك التي تُسقط قلبًا أو تُؤذي نفسًا لست حرًّا في إطلاقها، بل أنت أسـيرٌ لها، تقف بين يدي الله يوم القيامة تُسأل عنها، وتحاسب عليها.

تخيّـل قلبًـا جرحته بكلمة، رفع يديه إلى السـماء وقـال: «يا رب.. آذاني بكلمته».

كيف سـيكون جوابـك يومها؟ فاحرص على كلماتـك؛ فإنها إمّا أن ترفعك أو تُرديك.

وقـد علّمنا رسـولُنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدة النجـاة: «**فَلْيَقُـلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**».

(٤) العطور أم الصخور

اختر كلماتك بعناية؛ فالكلمات إمّا أن تكون كالعطور، وإمّا أن تكون كالصخور.

حين تُلقي كلمة على الناس، فإمّا أن ترميهم بلفظٍ غليظٍ يؤلم القلوب، وإمّا أن تهديهم كلمةً طيّبة تُطيّب النفوس، فاختر ما تُلقيه:

إن رميتَ العطور، فلا تعجب إن عاد إليك أريجها جميلًا وردّها لطيفًا..

وإن رميتَ الصخور، فتهيّأ أن تعود عليك صخورًا.

(٥) الكلمة الطيبة تُورِث المودّة

عوّد لسانك عند لقاء الناس أن يكون طيّبًا لَيِّنًا جَميلًا، واحذر أن تُواجِههم بالعِتاب أو تُصادِمهم بالكلام؛ فذلك يُوجِع القلوب ويُفسِد الودّ.

أظهِر لهم محبتك وتقديرك واحتفاءك، فالكلمة الطيبة تُورِث المودّة، وتزيد القلوب قربًا ومحبة.

(٦) قيمة الكلمة الطيبة

يقول أحدهم: أعجَبني ثوبٌ شتوي لصديقٍ لي، فأثنيت عليه أمام الآخرين.

شكرني ببساطة يومها، لكن المفاجأة كانت في الغد؛ إذ اتصل ممتنًّا بشكلٍ كبير، كأنني أسديت إليه معروفًا عظيمًا. قال إنه أحبَّ ثوبه أكثر بعد كلمة المدح، حتى إنه يرغب في لبسه كل يوم!

صديقي رجل في الأربعين، لا طفل ولا مراهق... لكن كلمة طيبة هزّت داخله فرحًا.

كل يوم أزداد يقينًا أننا صغارًا وكبارًا في حاجة ملحّة للثناء والتشجيع.

الجميع ينتظر كلمة تُسنده وتُنعش قلبه.

لن تخسر شيئًا حين تمدح، بل ستكسب: بهجة، وامتنانًا، وقلوبًا تُفتح لك.

(٧) الكلمة الرائقة .. فنٌّ تربوي

كنتُ في مجلسٍ من المجالس الطيبة، وبينما أتبادل الحديث مع أحد الحاضرين، كان ابنه الصغير يصبّ لنا القهوة بلطفٍ وأدب. فنادى والده ابنه قائلًا: «يا ولدي... أنا فخورٌ فيك!».

كلمةٌ بسيطة... لكن أذني التقطتها، وقلبي تلقّاها قبل عقلي. كم كانت رائعة، وكم كان أثرها عظيمًا في نفس ذلك الطفل! رأيت في عينيه بريقًا لم يكن موجودًا قبل لحظة.

عندها أدركت أن اختيار الكلمات الرائقة الجميلة منهجٌ نبوي؛

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينتقي عباراته بدقة حين يخاطب أصحابه:

«ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم»

«ارمِ سعد فداك أبي وأمي»

«يا معاذ، والله إني أحبك»

وقع الكلمة الطيبة على الغريب عظيم، فكيف بالقريب؟

أبناؤك.. زوجك.. أصحابك.. من تواجههم كل يوم..

كلهم بحاجة ماسّة إلى كلمة رائقة تُنعش قلوبهم، وتُقيم عوج مشاعرهم.

فلا تبخل... فالكلمة الطيبة صدقةٌ، ودواء، وبناء.

(٨) رُبَّ كلمة أحيت قلبا

لا تحتقر كلمةً، أو حالةً، أو رسالة؛ فربما بلغت أثرًا عظيما.

قال زبيد الكوفي: «سمعتُ كلمةً فنفعني اللّه بها ثلاثين سنة»[(١)].

(١) السير (٥/ ٢٩٧).

(٩) بعض الكلمات نجاة

زار أحـدُ الصالحيـن صديقًا له في مدينة أخـرى، وكان هذا الصديق من أهل الثراء والسـعة، وبعد صلاة العصر قال له: «سـآخذك في جولة». فانطلقا يتمشّـيان بين الشـوارع والمباني، وبينما هما يسـيران أخذ الغنيّ يشـير بفخـر: «هذا البرج لي.. وهـذه البناية لي.. وهذا السـوق ملكي.. وتلك الشـركة أيضـًا لي». ثم قال بثقة: «ما رأيك في كل هذا؟» فنظر إليه صاحبه قائلا: «أما أنا.. فما رأيتُ شيئًا لك».!

تعجّـب الغني وقـال: «كيف؟ هـذه كلها أملاكـي!» فأجابه صاحبه بكلمةٍ كانت أثقل من الجبال: «هذه ليست لك.. هذه للورثة، سيقتسمونها بعدك. أما أنت.. فستُحاسَب عليها ولا تنتفع بها.

لم أرَ لك مسـجدًا، ولا وقفًا، ولا مركزًا للقرآن، لم أرَ شـيئًا ينتظرك عند الله».

سـقط الكلام في قلب الرجل موقعَ الصاعقة، وتأثـر تأثرًا بليغًا، وفي اليـوم التالـي أمر ببناء مسـجدٍ كبيـرٍ بكامـل الملحقات، ومـا إن اكتمل المسجد .. حتى توفّي بعده بأسبوعين.

سـبحان الله .. بعض الأصدقاء كلماتهم ليسـت مجـرد حديث، بل رسالة نجاة.. تنتشلك من غفلة، وتُنقِذك من هلاك.

(١٠) مفتاح القلوب

إذا أردتَ أن تَكسب قلب إنسانٍ، فتحدَّث معه عمّا يُحب ويهواه؛ فذلك يفتح لك طريقًا إلى قلبه.

من يحب القراءة تحدّث معه عنها، ومن يهتم بالتقنية شاركه الجديد من الأجهزة والبرامج، ومن يعشق الصحة والرياضة تحدث معه عن الأنشطة والفوائد، ومن يهتم بتطوير الذات تحدث عن النجاح والمهارات... فالكلمة المفتاحية لكسب القلوب: الحديث عمّا يُحبّون.

(١١) المعيار الحقيقي للأخلاق

إذا أردت أن تعرف خُلُق إنسانٍ على حقيقته، فلا تنظر إلى لطفه مع الوجهاء ولا إلى أدبه مع من له عنده مصلحة، فذاك قد يكون تكلّفًا أو نفاقًا، ولكن انظر كيف يتعامل مع الضعفاء والخدم والمحتاجين، فهناك يُكشف المعدن وتُعرَف الأصالة.

(١٢) فَنُّ التَّغافُل... خُلُقُ الكِبار

التغافل عن الزلات خُلُقُ الكبار، وسجيّة أهل المروءات؛ فالناس مجبولون على الخطأ، ومن تتبّع الهفوات أتعب نفسه ومن حوله.

والفطن يدرك أن الصفاء لا يصنعه كثرة العتاب، بل سعة الصدر وحسن الظن، وبالتغافل تحلو المجالس، وتطمئن النفوس، وتدوم العِشرة.

(١٣) راحة القلب في التغافل

بعضُ الناسِ يُتعبُ نفسَه كأنَّ الحياةَ ساحةُ قتال؛ يرى في كلِّ موقفٍ معركة، وفي كلِّ كلمة هجومًا، وفي كلِّ نظرةِ ازدراءٍ سهمًا موجَّهًا إليه.

يا أخي.. أرح قلبك، وتغافل، ولا تُضخِّم الأمور؛ فبحُسن الظن تهنأ، وبالتغافل يسكن القلب.

(١٤) لا تُعاتب ولا تُطالب

لا تُرهِق قلبك بالعتاب، ولا تُثقِل روحك بالمطالبة.

ليس كل من قصَّر قد نسيك، وليس كل من غاب قد تغيّب عن قصد.

دع عنك: "لم يزرني.. لم يبارك لي.. لم يعزّني.. لم يقف معي..".

واستبدلها بعذرٍ جميل، وظنٍّ حسن، وقلبٍ واسع.

من أراد راحة البال، فليُحسن الظن، ولا ينتظر ردّ المعروف من أحد، وسيجد الطمأنينة في قلبه قبل أن تأتيه من الناس.

(١٥) القلوب الحاضرة في زمن الغياب

من أعظم حقوق الأخوّة في الله ألا يُترك المؤمن وحيدًا عند الشدائد؛ فساعة الكرب ليست موطن عتاب، بل ميدان تظهر فيه صدق المحبة وميزان الأخلاق.

ولذلك قال الشافعي لتلميذه يونس بن عبد الأعلى: «لا تَغْفُلْ عَنِّي، فَإِنِّي مَكْرُوبٌ»؛ معلّمًا الأمة أن المبتلى لا يحتاج أكثر من حضور صادق، ودعاء خفي، ومواساة رفيقة.

فالمكروب يريد قلبًا يشعر به، لا جسدًا يحضره لمجاملة، ومن غاب عن أخيه في الضيق فلا قيمة لابتسامته في زمن الرخاء.

(١٦) مسافة الأمان

كما أن حفظ المسافة بين السيارات يمنع التصادم، فكذلك العلاقات الإنسانية تحتاج إلى مسافة أمان.

قُربٌ بلا حدود قد يُورث اصطدامًا نندم عليه، أمّا المسافة الحكيمة فتُبقي الودّ، وتجعل الاحترام أعمق، وأجمل، وأرسخ في القلوب.

(١٧) لا تكن كتابًا مفتوحًا

من الخطأ أن تكشف كل شيء للجميع؛ فالأكثر طعنًا وخداعًا هم من أظهروا أوراقهم بلا حذر.

وقد دلّ القرآن على هذه الحكمة حين حذّر يعقوبُ ابنه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ٥]

القاعدة الذهبية تقول: ليس كل ما يُعرف يُقال، ولا كل ما يُرى يُحكى.

كن حكيمًا في ما تُظهر وتُخفي؛ فشيءٌ من الغموض يحفظ لك الهيبة، وكشف كل شيء يعرّضك للاستغلال.

(١٨) كُن جبلًا لا زبدًا

يقول بعض الناس: إن تيار الفساد جارف.

وأقول لك: هل رأيت يومًا تيارًا يجرف جبلاً؟!

التيار لا يجرف إلا الأوساخ والأقذار التي في مجرى الوادي.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الرعد: آية ١٧].

فكن جبلًا راسخًا بإيمانك، ثابتًا بطاعتك، مقبلًا على ربك.

لا يتأثر قلبك بفساد من حولك، ولا يجرفك تيارٌ مهما اشتدّ.

(١٩) لا تُقابل النار بالنار

رجال الإطفاء لا يُقاومون النارَ بالنار، وكذلك أنت في تعاملك مع الناس؛ لا تُقابل الإساءة بالإساءة، ولا الغِلظة بالغِلظة.

إن رددت على المسيء بالحسنة، أبعدت الشحناء عن قلبك أولًا، ثم قلبته بإذن الله من عدوٍّ إلى صديق، وهذه سنةٌ ربانيةٌ أخبر الله تعالى أنها لا تتحقق إلا بالصبر، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فصلت: الآيات ٣٤-٣٥].

فالمسألة كلّها مقرونة بالصبر؛ اصبر.. وسترى العجب!

الذين كانوا بالأمس خصومًا، يصبحون غدًا بفضل الله، ثم بصبرك وإحسانك إخوانك وأقرب الناس إلى قلبك.. فقليلٌ من الصبر يغيّر أشياء كثيرة.

(٢٠) لغة المصالح وانقلاب الكلمات

كثيرٌ من الخطابات تتغيّر بتغيّر مصالح الناس.

فإذا احتاج أحدُنا شيئًا من إنسانٍ ما، بحث عن أجمل كلمة، وألين عبارة، وأرقّى أسلوب، حتى يظفر بمصلحته، فإذا انقضت حاجته تغيّر الخطاب، وتبدّلت النبرة، وكأن الكلمات السابقة لم تخرج إلا لاستجلاب منفعة لا لحسن معاملة.

ومشهد إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مثالٌ على ذلك:

فحين احتاجوا إلى أخذ أخيهم معهم ليحصلوا على الطعام، قالوا متلطفين: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ [سورة يوسف: آية ٦٣] فلما انتهت المصلحة، ووقع ما وقع، تغيّر كلامهم، فقالوا مخاطبين أباهم: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [سورة يوسف: آية ٨١] فصار الذي كان قبل قليل ﴿أَخَانَا﴾، صار الآن ﴿ٱبۡنَكَ﴾!

وهذا -للأسف- قد يحدث في حياتنا، بل وفي بيوتنا.

فالوالد مثلاً يقول بفخر: «أرأيتِ ولدي كيف نجح!»

فإذا رسب قال: «هذا ولدِك، أرأيتِ كيف؟!»

سبحان الله... ما أسرع ما تتغيّر الكلمات حين تتغيّر المصالح.

(٢١) ستر الله .. نعمةُ لا يفقهها إلا العارفين

كُلُّنَا محمَّلون بالعيوب، ولولا رداءٌ من الله اسمه السِّتر لانحنت رؤوسُنا خجلًا.

وهذا المعنى -يا صاحبي- يعلِّمك درسًا عظيمًا: إذا رأيتَ إنسانًا مُخطئًا، فتذكّر أنك أنت أيضًا تقع في الأخطاء، ولست بمعصوم. وإذا كان الله قد ستر عليك، فاستُر أنت على أخيك الذي رأيتَ أو سمعتَ منه زلّة. فالله عَزَّوَجَلَّ سِتِّيرٌ يحبّ السَّتَّارين.

استروا على الناس، ولا تجعلوا أعراضهم حديثًا تتلذذ به الألسن؛ فوالله إن أعظم الخسارات أن تأتي يوم القيامة مُفلسًا من حسناتك؛ لأنك وقعتَ في أعراض الخلق.

(٢٢) حقيقة السعادة

السعادةُ ليست في لمعانِ الدِّرهَمِ وبريقِ الدِّينار، ولا في قصرٍ مُشيَّدٍ أو منصبٍ مُرصَّعٍ بالجاه، بل هي في سجدةٍ خاشعةٍ في جوف الليل، ولمسةِ يدِ أبٍ كريمٍ تُقبَّل امتنانًا، وابتسامةِ أمٍّ حنونٍ تُرضي القلب قبل أن تُرضيها.

(٢٣) القناعة ربحٌ لا يخسر

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، ورُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتاه»[١].

القناعة رزقٌ يسكن القلب قبل أن تسكن اليد؛ فما دام العبد راضيًا بما قسمه الله، مطمئنًا بما آتاه، عاش في راحةٍ لا يعرفها من يلهث خلف الزيادة بلا نهاية.

واليوم - في زمن التجارة والمغالاة في الأسعار - نرى أن من بالغ في طلب الربح تأخر عنه، وأن من رضي باليسير، وعدل في بيعه، وبارك الله له في رزقه سبق غيره وهو لا يشعر.

القناعة ليست خسارة.. بل باب ربحٍ خفي، وبركةٌ ظاهرة.

(٢٤) هل حياة المشاهير كما نظن؟

لا تنخدع ببريق المشاهير؛ فكثيرٌ منهم أسرى هوس الترند، يُطاردهم القلق بالأرقام والمشاهدات، ويخافون تراجع المتابعين.

ما يُعرض على الشاشات ليس إلا قشرةً لواقعٍ مليء بالضغوط والاضطراب.

ارضَ بما آتاك الله؛ فالقناعة نعمة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥٤).

حيـاة هادئة بلا هـوس آراء الناس، ورزقٌ يكفيـك، وقلبٌ مطمئن، هذه هي السعادة الحقيقية، لا كثرة الأضواء.

(٢٥) قِيمَتُكَ لا تُقاسُ بما تَملك، بل بما تُقدِّم

قيمتك الحقيقية ليست في شهادةٍ تُعلَّق، ولا في منصبٍ يُمنح، ولا في مالٍ يُجمع.

قيمتك في عطائك، وفي بذلك، وفي إحسانك للآخرين.

فالناس إنما تُوزَن بصفاء مبادئهم، لا بلمعان ألقابهم.

وكما قيل:

ما قيمةُ الناسِ إلا في مبادِئِهِمْ

للمالِ يبقَى وللألقابِ والرُّتَبِ

(٢٦) جودةُ الحياة في العطاء

ينعم بجـودة الحياة أولئك الذين يُعطون بلا انتظار مقابل؛ يُعطون لأن عطاءهم لله أولًا، ولأنهم يرونه واجبًا أخلاقيًا قبل أن يكون فضلًا، يقدّمـون الخير وكأنه دَينٌ في أعناقهم، يؤدّونه في الدنيا، ويترقّبون أجره عنـد الله، هـؤلاء لهم جـودةٌ خاصة في عيشـهم، وطمأنينة لا تُشـترى،

فلا معنى لنجاح الحياة ما لم تُبنَ على العطاء، والبذل، والوفاء، والجود.

(٢٧) الإحسان طريق الزيادة والرفعة

يا مَن يطلب مزيدًا من الخير والبركة: عليك بالإحسان، فقد قال تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٥٨].

فالإحسانُ مفتاحُ الزيادة، سواء كان إحسانًا في عبادة الله أو إحسانًا لخلقه.

أحسِن في عبادتك، وأخلص سريرتك، واقترب من ربك بنور الطاعة، فالله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٦].

واجعل إحسانك في العبادة سرًّا بينك وبين الله؛ فهو يجزي على الإحسان إحسانًا أعظم.

وأحسِن إلى الناس قدر استطاعتك: بمالك، أو جهدك، أو جاهك، أو حتى بابتسامة صادقة وكلمة طيبة.

(٢٨) كُونُوا دِفْئًا لِشِتَائِهِمْ

تفقَّدوا أحوالَ أقاربِكم وجيرانِكم ومَن حولَكم، فكم من محتاجٍ يتجلّد، وكم من فقيرٍ يتعفّف: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٧٣].

قد يبيت بعضُهم في بردٍ قارسٍ لا يجد ما يُدفئه، فكونوا لهم عونًا، ودفئًا لشتائهم، ورحمةً لقلوبِهم.

(صَنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.)،

(وَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْبَلَاءَ)،

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [سورة المزمل: آية ٢٠].

(٢٩) الله لا ينسى خيرًا صنعته

قد تُحسِن إلى الناس، ومع مرور الأيام يطوي النسيانُ آثارَ معروفك، وقد تعمل أعمالًا صالحة ثم تنساها أنت بنفسك، لكن دعني أطمئن قلبك: الله لا ينسى.

لا يغيب عن علمه مثقال ذرة، ولا يضيع عنده خيرٌ قلَّ أو كثر: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٧٤].

كل خطوة خير، وكل دمعة صدق، وكل بادرة إحسان مسجَّلة عنده، محفوظة لك، وستجدها غدًا تضيء صحيفتك بإذن الله.

(٣٠) كن لطيفا

ارحـمْ كلَّ من يمـرّ بطريقك، وتغافَل ما اسـتطعت؛ فخلف الوجوه معارك لا يراها أحد.

كن لطيفا.. وازرع في دروب الحياة مواقف تبقى بصماتٍ لا تُنسى.

(٣١) من خُلُقُ الأنبياء نسبةُ الفضلِ إلى الله

أمـرَ اللهُ بالاقتداء بالأنبياء؛ فهم القدوةُ في الأخلاق والسـلوك، ومن أعظم صفاتهم: نسبةُ الفضل كلِّه إلى الله.

ويتجلّى هذا الخُلُق بوضوح في قصة يوسـف عليه السـلام؛ إذ نسب العلم، والنعمة، والنجاة، واجتماع الشمل كلَّه إلى الله، فقال:

* ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [سورة يوسف: آية ٣٧]
* ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ [سورة يوسف: آية ٣٨]
* ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ﴾ [سورة يوسف: آية ٩٠]
* ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٠]

فما ناله من خيرٍ أو فرجٍ أو تمكينٍ إنما هو من إحسان الله وحده.

وهـذا خُلُـقٌ نتعلّمه نحن أيضًا: أن ننسـب كل نعمة ونجاح إلى الله، ونشكره عليها؛ فبالشكر تُحفَظ النِّعَم وتُزاد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم: آية ٧].

(٣٢) بركة عملٍ صغير

كنـتُ قد وزعـتُ قبل مـدة على الطلاب ورقـةً فيهـا أذكار الصباح والمساء، ثم نسيتُ الأمر.

وفي أيام الاختبارات النهائية ناداني أحد الطلاب، فظننته يريد سـؤالًا عن الامتحان.

اقترب مني وقال بهدوء: «تتذكر الأذكار التي أعطيتني؟»

قلت: نعم. فقال: «والله ما تركتُها منذ ذلك اليوم».

لا أخفيكم... فوجئتُ بكلماته، وتلعثم لسـاني من شدّة الفرح، فقد سرّني ما سمعت فوق ما كنت أتوقع. فلا تحقروا من الخير شيئًا.

(٣٣) التوفيق أعظم من الشهادات

قال لي أحد الأئمة: «يصلي معنا أصحاب شهاداتٍ عالية، ومع ذلك يفوتهـم دائما عددٌ من الركعات، ويأتون متأخرين وهم يسـكنون بجوار المسجد، بينما ترى عامة الناس يتسابقون إلى الصف الأول ويحرصون على تكبيرة الإحرام».

فقلت له: يا صاحبي.. القضية ليست شهادات ولا مناصب، إنما هو توفيقٌ يمنحه الله لمن يشاء.

(٣٤) تكلّم حتى أراك

الصمتُ ليس فضيلةً في كل موضع، وهناك مواقف يصبح فيها الكلامُ واجبًا لا خيارًا؛ لأن سكوتك حينها يُضيّع حقًّا أو يُخفي قدرةً أو يُلبس الحقيقة بثوبٍ غير ثوبها.

تكلّم لا لتتباهى، بل لتُعرّف الناسَ بنفسك، وبما تستطيع أن تقدّمه، وبما وضعه الله بين يديك من نِعَمٍ ومواهب.

وقد فعلها يوسفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين قال بثقة العارف بمكانه: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة يوسف: آية ٥٥].

ثم شهد له عزيزُ مصر بعد أن استمع إليه وفهمه: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة يوسف: آية ٥٤].

فلا تسمح للصمت أن يحجب نورك، واستخدم كلماتك حين يكون الكلامُ حقًّا وعدلًا وضرورة.

(٣٥) هكذا يختلف القادة العظماء عن غيرهم

القادة السيئون لا يُسمِعونك صوتهم إلا إذا أخطأت، أما حين تُبدع يصمتون كأنهم لم يروا شيئًا. بينما القادة العظماء يرفعون صوتهم عند نجاحك، ويصمتون بحكمة عند زلّتك، لأنهم يؤمنون أن التوجيه لا يكون بالتوبيخ، بل بالثقة والدعم.

(٣٦) المَجدُ يُنال بالجِدّ لا بالجَدّ

من أجمل ما وقفتُ عليه في معاني الهمّة والعمل قول الشاعر:

بِجِدّي لا بِجَدّي كان مَجدي وهل جَدٌّ بلا جِدٍّ بمُجْدي؟

والمعنى: إن أردتَ المجد فابذل جِدَّك أنت، ولا تركن إلى أنسابك ولا إلى ما يقول الناس: هذا ابن فلان، فآباؤك وأجدادك نالوا مجدهم بعرقهم وسعيهم، فاصنع أنت مجدك بيديك، حتى يُقال يومًا: «نَالَهَا بجِدِّه.. لا بجَدِّه».

(٣٧) منازلُ السّادة لا تُنال بالوِسادة

إنَّ القِممَ لا تُهدى للكسالى، ولا تُنال إلا بعزيمةٍ، وتعبٍ، وسهر.

أأبيت سهران الدجى وتبيته نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي

(٣٨) العِلمُ يُقيَّدُ بالكتابة

رحم الله أبا المعالي الجُوينيّ، إذ لَفَتَ الأنظارَ بكلمةٍ جامعةٍ إلى سرٍّ عظيمٍ من أسرار طلب العلم، فقال: «ما كتبتَهُ تقيَّد، وما أهملتَهُ تشرَّد».

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فالتجارب تشهد أنَّ أثمن ما يملكه طالبُ العلم ليس كثرة قراءاته فحسب، بل ما قيَّده بقلمه، وجمعه في دفاتره وملفاته من فوائد المطالعة، ونفائس المسموعات، وخواطر الفكر، ولمحات التأمل، فالكتابةُ ذاكرةُ العلم، وبها يثبت، وبدونها يتفلت وينسى.

(٣٩) إِنَّما العِلمُ الخَشْيَة

لا يُرادُ العلم للشهادات والجاه والمناصب والتقدم، وإنما يُرادُ العلم للسبق إلى الله.

وحينما ذُكر معروف الكرخي في مجلس أحمد قال أحد من حضره: هو قليل العلم. فقال: أحمد: أمسِك عافاك الله، وهل يُراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف!

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: قلت لأبي: هل كان مع مُعروف شيءٌ من العلم؟

فقال: يا بني كان معه رأس العلم خشية الله تعالى.

(٤٠) تحدّي هذا العصر

لكلِّ عصرٍ تحدٍّ يميّزه، وتحدّي عصرنا هو الثبات على القيم، وحراسة الأخلاق، وصيانة الإيمان.

نعيش زمنًا انفتح فيه العالم في كل اتجاه، بضغطة زرٍّ تُفتح أبواب الفساد، وبضغطة زرٍّ تُفتح أبواب الخير، والعلم، والهداية.

فالسعيد من أحسن الاختيار، وجعل من هذه الانفتاحات سُلَّمًا يقرّبه إلى الله، لا هاويةً تُبعده عنه.

(٤١) لم تُخلق لإبهارهم!

قد يقول لك بعضهم: ما توقّعناك هكذا، كنا نظنّك شيئًا آخر؛ وذلك حين يرون عفويتك وبساطتك؛ لأنهم رسموا لك في أذهانهم صورةً يريدونك أن تسير عليها، وهذا ما لا يلزمك.

ومن أجمل ما قيل: «أنا لم أُخلَق لإبهارك؛ فظُنّ بي ما شئت، أنا مخلوقٌ لأمرٍ عظيم، أفكّر فيه، وأعمل له، وأجتهد فيه، فإن لم يرضَ الناس عني، فحسبُي أن يرضى الله عني، ولي خطّي الواضح، ومساري الذي اخترته، وأعلم إلى أين يقودني».

بهذه النظرة تعيش مطمئنّ النفس، ولا تؤذيك كلمات الناس، ولا تُثقلك نظراتهم.

(٤٢) لا تلتفت .. خلفك ضجيجٌ لا يصنع مجدًا

يتحدثون من خلفك.. أتدري لماذا؟ لأنهم أصلًا خلفك! فلا تلتفت إلى الوراء ولا تمنحهم شيئًا من طاقتك.

امضِ بثبات، واصعد نحو أهدافك، واترك أصوات التثبيط خلف ظهرك؛ فالمتأخرون لا يجيدون إلا الكلام، ومن أراد الوصول لا يقف عند ضجيج الطريق.

ولا تلتفت هاهنا أو هناك ولا تتطلع لغير السماء

(٤٣) أنت ابن اليوم

لا تخف ممّا مضى، ولا تحمله معك كقيدٍ في حياتك.

الماضي انتهى، ولن تستطيع أن تُغيّر فيه شيئًا، لكنك قد تُضيّع عمرك إن وقفت عنده.

انطلق بما هو جديد، وابدأ من حيث أنت الآن.

أنت ابنُ اليوم، والله يريد منك خيرًا اليوم، وفيما بقي من أيامك.

(٤٤) ما أحوجنا إلى يقين الأطفال

الطفل إذا طلب شيئًا من أبيه، يطلبه بقلبٍ مطمئن، ويقينٍ جازم أن أباه قادر على أن يجيبه، بل يراه في نظره قادرٌ على كل شيء.

قال بعض الحكماء: إذا كان لك أب فإنك لا تحمل همّ الحياة.. فما بالك إذا استشعرتَ أن لك رب!!

إذا عرفت قدر ربك، وخضعت في عبادتك له، وانكسرت في طلبك، أتظن أنه سيخذلك؟

والله ما خاب عبدٌ أحسن الظن بربه.

(٤٥) التربية على الطمأنينة لا على الخوف

يُشفقون على الشباب من أهوال المستقبل، والمستقبل بيد الله وحده، وهو الذي يُدبِّر الأمر.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوجّه عبدالله بن عباس -وهو غلام- بتربيةٍ تصنع الطمأنينة لا القلق: « **احفَظِ اللهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللهِ**».

ويقرّر أصلًا عظيمًا: أن النفع والضر بيد الله، وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك، وما أصابك لم يكن ليُخطئك، وأن النَّصر مع الصَّبر، والفرج مع الكرب، ومع العسر يسرًا.

هذه هي التربية التي نحتاجها: تربية على التوكل واليقين، لا على التخويف ونشر القلق والتوجّس.

(٤٦) المؤمنُ لا يخسر أبدًا

عـادةُ المؤمنِ التفاؤلُ، فهو إذا نزلت به مصيبةٌ علم يقينًا أنها ليسـت شـرًّا محضًا، بل في طيّاتها منحٌ وخيراتٌ خفيّة، فإن صبرَ رُفِعَت درجاتُه، وإن احتسبَ كُفِّرَت سيئاتُه، فهو في الحالين رابحٌ لا خاسر، وفي كل بلاءٍ له عند الله جزاءٌ وعطاءٌ.

(٤٧) مع الله.. لا ينطفئ الأمل

لم يفقد نبيُّ الله يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الأمل، حتى وهو في الظلمات الثلاث: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٨٧]

ونحن أحيانًا نيأس من أمورٍ هي أهون من ذلك بكثير.

تعلّق بالله بصدق؛ فلن يخيب من جعله ملجأه ورجاءه.

(٤٨) لُطفُ الله الذي يُطمئن القلوب

قـال البغوي في تفسـير معنى اللّطيـف: «اللَّطِيفُ الَّذِي يُنْسِـي الْعِبَادَ ذُنُوبَهُمْ لِئَلَّا يَخْجَلُوا»[(١)]. وما أعظم هذا اللطف!

فلولا أن الله يتفضّل على المؤمن بنسيان زلّاته، لبقي أسير الذكرى، مُثقَل القلب، لا يهنأ له عيش، ولا تطمئن له نفس.

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٤٩).

(٤٩) طمأنينة الطيبين

كنتُ أتأمّل قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النور: آية ٢٦].

فوجدتُ فيها عزاءً عظيمًا لكل قلبٍ طيّبٍ جُرح، وناله كلامُ الناس.

قد يؤذونك بألسنتهم، وقد يتناولونك في مجالسهم، لكن الله جَلَّوَعَلَا طهّرك قبل أن يطهِّر سُمعتك،

ووعدك إن كنت طيبًا بمغفرةٍ منه ورزقٍ كريم.

فأبشِر برحمة الله، وامضِ ثابتًا.. ولا تُرهق قلبك بما يقولون؛ فكفاك شرفًا أن الله دافعٌ عنك، ومُبرِّئٌ لك.

(٥٠) ألا يكفيك..؟

ألا يكفيك أن كلماتك الطيبة تصعد إلى الله، وإن غفل عنها الناس؟

وأن كل خيرٍ تعمله محفوظ عنده، لا يضيع ولا يُنسى؟

ألا يكفيك أن الله شكور؛ يقبل القليل ويضاعفه، وأن عملك مهما صغر ستراه؟

ألا يكفيك أن تكون في معية الله، وأن تسير في طريقٍ يحبه ويرضاه؟

يا صاحِ.. لا يهم أن يراك الناس، ولا أن يصفّقوا لك:

المهم أن الله يراك ويعلم ما في قلبك.

ألا يكفيك ذلك؟

(٥١) قف على الباب

ذُكِر عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصةُ صبيٍّ طردته أمه فأغلقت الباب في وجهه، فمضى حزينًا ثم عاد، لا مأوى له سواها. جلس عند الباب باكيًا حتى نام، فلما رأته رقّت له واحتضنته قائلة: «أين تذهب عني؟ ومن يؤويك غيري؟» ثم أدخلته بيتها.

هكذا حال العبد مع ربّه؛ لو وقفنا على بابه كما وقف هذا الصبي، ما أُغلِق في وجوهنا.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لله أرحمُ بعبادِه من المرأةِ بولدِها**»(١).

فأين رحمة الأم من رحمة الله؟

إذا ظننتَ الأبواب مُغلقة: قف على باب الله، الزمه، وابكِ بين يديه..

فهو الفتّاح الكريم،

ومن لزم بابه بصدق فُتِح له، ورُزِق من حيث لا يحتسب.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [سورة فاطر: آية ٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٥٢) الذكر يُليّن الطاعة

مَن أراد سهولةَ الطاعة وطمأنينةَ القلب، فليلزم ذكرَ الله؛ فهو مفتاحُ القرب والسعادة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سُئل عن عملٍ يتشبثُ به: «لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ»[١].

ففي الحديث دلالةٌ على أن الذِّكر يُليِّن القلب، ويُسهِّل العبادة.

ولذلك ثقلت الطاعة على المنافقين؛ لأنهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: آية ١٤٢].

وهكذا يكون الذِّكر سرَّ التيسير، وبابَ الطمأنينة.

(٥٣) لا تستهِن بالاستغفار

لا تستهِن بلحظة استغفار؛ فكم من خيرٍ تُرزق، وكم من بلاءٍ يُرفع.

قال الحسن: «أَكْثِرُوا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ فِي بُيُوتِكُمْ، وَعَلَى مَوَائِدِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَفِي أَسْوَاقِكُمْ، وَفِي مَجَالِسِكُمْ، أَيْنَمَا كُنْتُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْرُونَ مَتَى تَنْزِلُ الْمَغْفِرَةُ»[٢].

---

(١) صحيح الترمذي (٣٣٧٥).

(٢) التوبة؛ لابن أبي الدنيا (١/ ١٢٥).

(٥٤) مفتاحان لتغير حياتك

أمران إن واظبتَ عليهما، رأيت أثَرَهُما في حياتك:

١- زِيادةُ الوِرْدِ القُرْآنيّ.

فكلما كانت قِراءتُكَ لِلقُرْآنِ أكثر، كانت بَرَكَتُكَ في الحَياةِ أكثر.

٢- كَثْرَةُ الاسْتِغْفار.

اجعل لك بعد صَلاةِ الفَجْرِ وأذْكارِ الصَّباحِ جلسةً في مُصَلّاك تملؤها بالاستغفار، وابقَ فيها حتى تَطْلُعَ الشَّمْس، مُستحضِرًا تَقصيرَكَ وذُنوبَك.

الرجل يمكث في المسجد، والمرأة في مُصلّاها.

ستُفْتَحُ لك أبْوابُ الخَيْرِ، وتَرى تَغْيِيرًا مَلْحوظًا، والمُوَفَّقُ مَن وَفَّقَهُ اللهُ.

(٥٥) كلما زدتَ وِردًا زادك اللهُ فرجًا

أجمل طريقٍ تسلكه في حياتك هو طريق القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: آية ٩].

من أرادَ سعادةَ الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أرادَ نجاةَ الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادَ الفرجَ والطمأنينة فعليه بالقرآن.

وكان بعضُ السلف إذا ضاقت به الدنيا واشتدت عليه الكروب، زاد وِرده من القرآن، فكلما زاد ورده زاد فرجه، وامتلأ قلبه نورًا وبركةً.

فاجعل لنفسك من هذا النور نصيبًا، فكلما زدتَ قربًا من القرآن، زادك اللهُ خيرًا وسعةً وبركةً.

(٥٦) ميزان الإيمان

الإيمانُ يقوم على ركنين عظيمين: الصبر والشكر؛ فالعبد لا يخرج في مسيره من حالين: نِعمةٍ تُفيض عليه، أو بلاءٍ يمتحنه، فإن أُنعِم عليه شكر، وإن ابتُلي صبر.

(٥٧) حين تُغتال القلوب

الأغانيُ سُمٌّ يَسري إلى القلبِ خُفْيَةً؛ يُضعفُ الخشوع، ويُطفئُ نورَ الإيمان، حتى يعتاد القلبُ الغفلةَ ولا يشعر، فاحذر أن تقتلَ ما بقي من نور قلبك، فالقلبُ إذا أظلم صَعُبَ عليه الرجوع.

(٥٨) القرآن حياة القلوب

وإني لأعجبُ والله: ممَّن يمرُّ به يومٌ لا يفتح فيه كتابَ الله..

كيف لروحه أن تروى، ولِقلبه أن يسعد، ولإيمانه أن يزيد؟

(٥٩) إذا ضاق بك الأمر فاسجد

لا ترفع رأسك من السجود وفي صدرك شيءٌ لم تقله لله.

إذا أهمّك همّ، وداهمك القلق، فلا تُحدِّث أحدًا.. اسجد، وقل كل ما في قلبك كما هو، بلا تكلّف ولا تزيين.. سترى أثرًا مختلفًا؛ فمن انكسر لله كفاه، وكان الله معه.

وكان قدوتك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا حَزَبَهُ أمرٌ فَزِعَ إلى الصلاة». فافزع إلى ربّ العالمين أولًا، فهو أقرب وأرحم.

(٦٠) الله أكبر والتلفزيون أصغر

تحكي إحدى الفتيات: أذّن المؤذن لصلاة العصر، وكنتُ منشغلة بالتلفاز ولم أقم، فقال لي أبي بهدوء: المؤذن يقول: الله أكبر، وأنتِ تقولين بفعلك: التلفاز أكبر.

قولي كما قال المؤذن: الله أكبر، وقومي للصلاة.

تقول: مرّت السنين، وما زالت كلماته توقظني مع كل أذان؛ فأقوم للصلاة، وأدعو لأبي، وأوقن أن الله أكبر من كل ما يشغلني.

(٦١) الفجر مفتاح يومك وبركته

مـن اعتاد تضييع صلاة الفجر، فقد حرم نفسـه مـن: القرب من الله، وسكينة القلب، وبركة اليوم، والتوفيق الذي يفتح أبواب النجاح.

يا لها من خسارة وحرمان!

(٦٢) ثلاثية التيسير

في قوله تعالـى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [سورة الليل: الآيات ٥-٧].

١- ﴿أَعْطَىٰ﴾: بذل الخير.

٢- ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: حفظ حدود الله.

٣- ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: أيقن بالآخرة.

النتيجة: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: يسهّل الله له طريق الطاعة والخير.

(٦٣) لا تأمن الفتنة

كـم مرّةً تدعو في يومك وليلِك: «**يا مُقلِّـبَ القلوب، ثبِّتْ قلبي على دينك**»؟

في زمنٍ كَثُرَتْ فيه الفتن، وتتابَعَ فيه النّاكصون على أعقابهم.

تذكّـر أنَّ أحدًا لا يأمنُ الفتنةَ على نفسِـه... فكُـن من المُلِحين على الله بالثّبات.

(٦٤) الطريق إلى كسر سلطان الشيطان

كنـتُ أتأمّـل قولـه تعالـى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: آية ٩١].

فأتذكّر حال كثيرٍ من الناس اليوم؛ يشـكون أَسْـرَ الذنوب، ويبحثون عن طريق الخلاص والنجاة من هذا الرقّ الثقيل.

والجواب بين أيدينا في كتاب الله:

- كيف حالُك مع صلاتك؟
- كيف حالُك مع القرآن والذِّكر؟

فأعظم ما يقوّي الإيمان ويُضعف سـلطان الشـيطان: هو المحافظة علـى الصـلاة والمداومـة على ذكـر الله وقراءة القـرآن، فمعهمـا يزداد الإيمـان، ويضعف سـلطان الهوى، ويبـدأ حبّ الطاعة يقـوى، وهوى المعصية يذبل.

ولهذا لا تثقل عليك الطاعة، ولا تهون عليك المعصية، إلا إذا نجح العدو في صدّك عن هذين الأمرين العظيمين.

(٦٥) حين تحدثت أمي تغير شيء في داخلي

كـم من كلمـةٍ تمرُّ عابـرةً على الأسـماع، لكنها تقـع في القلب وقْعَ المطر على الأرض العطشى.

أذكـر ذات مـرة، كنّـا في جلسـةٍ هادئةٍ مـع الوالدة وبعـض الإخوة، فذكـروا امرأةً غلبهـا الحزن على فَقْدِ زوجها الـوفيّ، حتى كاد الحزن أن يأكل قلبها، فقالت أمي بهدوءٍ عجيب: «لو أنّها انشغلت بالقرآن، لذهب عنها ما تجد من الحزن».

كلمـةٌ يسـيرة، لكنّها اخترقـت قلبي كالنور، سـكنت في أعماقي منذ تلك اللحظة.

لـم أعلّق عليهـا حينها، لكنّهـا ظلّت تكبر داخلي، حتـى كانت أولَ سطرٍ في أول كتابٍ ألّفتُه: (نقطة التحوّل).

لقد كانت كلمةً تستحق أن تُفتَتَح بها الكتب، وأن تُتَناقَل بين القلوب، لأنّها لم تكن مجرّد عبارةٍ، بل كانت نافذةَ هدايةٍ إلى الله.

(٦٦) لحظاتٌ تكشف حقيقة النعم

حين تدخل السـجن تدرك حقًّا قيمة الحرية، وحين تطأ المستشـفى تعـرف نعمة العافية، وحين تقف في أروقة المحكمة تفهم نعمة الأخلاق

والستر، وحين تقف على المقابر وتتأمل أحوال الراحلين الذين يتمنّون تسبيحةً، أو ركعةً، أو سجدةً، أو توبةً، أو عملاً صالحًا، تعلم يقينًا عِظَم نعمة الحياة، وأن كلَّ يومٍ نعيشه هو غنيمة لا تُقدَّر بثمن.

فما أكثر النعم بين أيدينا، فلنُؤدِّ حقَّها من الشكر قبل أن تُسلب منّا أو ترحل.

(٦٧) ذكريات تصنعها القلوب

حاوِل في كلِّ لقاءٍ أن تترك بصمةً لا تُنسى: ابتسامةً تُبهج، وكلمةً تُطمئن، ودعوةً تنطلق من قلبٍ صادق.

فالقلوب مجبولةٌ على حُبِّ مَن أحسن إليها، وبعض المواقف -مهما صغُرت- تبقى شاهدةً في ذاكرة العمر، لا يمحوها الزمن ولا تغيب عن الوجدان.

(٦٨) موقفٌ عابر .. بقي في قلبي دهرا

أذكرُ -وكأن المشهد أمامي الآن- حيث كنتُ في الصف الثالث الابتدائي، إذ زارني ابنُ عمي في المدرسة، دخل الفصل بخطواتٍ مطمئنة، وجلس على كرسي المعلّم، فبدا لي في تلك اللحظة كأنه أخي الأكبر.. بل كأنه أبي.

كنتُ طفلًا يهاب المدرسة، أثقلها في قلبي الخوفُ والمشقة، فلما رأيته هناك انزاح عن صدري جبلٌ من الرهبة، وشعرتُ بطمأنينةٍ غريبة وثقةٍ لم أعرفها من قبل.

تحدث معنا قليلًا، ثم التفت إليّ أمام زملائي، ومدّ يده بخمس ريالات.. مبلغٌ صغير، لكنه يومها كان في عيني هدية الدنيا كلّها.

مرّت السنوات، أكثر من ستٍّ وعشرين سنة، وما زال ذلك الموقف -ببساطته ودفئه- ثابتًا في ذاكرتي كأنه الأمس.

(٦٩) غلاء الهدايا وفقر المعنى

أصبحت الهدايا في مجتمعاتنا وسيلة للتعبير عن المحبة، لكن المؤسف أنها تحوّلت عند البعض إلى أداة للتفاخر والتظاهر، حتى غدا ثمن الهدية أهم من معناها، وتصويرها أهم من أثرها.

فكم من شخص يُرهق نفسه ماديًا، وربما يستدين، لا ليُسعد غيره، بل ليعرض المشهد في وسائل التواصل، بل تعدّى الأمر إلى أن الهدايا البسيطة تُهمَل، وكأن القيمة لا تُقاس إلا بالسعر.

هذه الظاهرة لا تزيد الناس إلا ضغطًا نفسيًا، وتضع أصحاب الدخل المحدود بين مجاراةٍ مُرهِقة أو شعورٍ بالنقص، وفي الحالين الخسارة واحدة.

والحق أن قيمة الهدية ليست في غلائها، بل في صدقها، وليست في صورتها، بل في أثرها.

فلنُعِد للهدايا معناها الجميل:

ودٌّ بلا تكلّف، ومحبة بلا استعراض، وبساطة تصنع أثرًا أعمق من كل مظاهر التفاخر.

(٧٠) التنمّر جريمة

التنمّر ليس مزاحًا عابرًا، بل أذىً حقيقي قد يكسر النفس ويهلك الجسد.

كلماتٌ جارحة دفعت رجلًا إلى العزلة هربًا من سخريةٍ تجاه مرضه.

وشابًّا آخر أوصلته موجات التنمّر إلى انهيارٍ صحي كاد يودي بحياته.

إنها كلمات، لكنها لكمات، تترك جراحًا عميقة، وقد تقود إلى عزلةٍ وألمٍ لا يُحتمل.

فليحذر الإنسان لسانه، وليبتعد عن كل بيئة تؤذي، ولنكن سببَ طمأنينة لا سبب وجع؛ فالتنمّر جريمة مهما لبس ثوب المزاح.

(٧١) الأخ عمود الروح

كلّما تألّمتَ قلتَ: أخ.

وكلّما احتجتَ من يسندك، لم تجد كلمةً أصدق من: أخ.

وحين ذكر الله الأخ في القرآن، ذكره سندًا وقوّة، فقال: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [سورة القصص: آية ٣٥].

وجعله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جزءًا من ذاته حين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [سورة المائدة: آية ٢٥].

فالأخ ليس اسمًا في شجرة العائلة، بل روحٌ تُقوّيك، وعضدٌ إذا مال بك الطريق.

(٧٢) أين الصديق!

أين ذاك الصديق الذي تحنّ إليه كما تحنّ الأرضُ العطشى إلى المطر؟

أين الصديق الذي يغيب فتشعر بنقص العالم، ويفتقدك كأنّك بعضُ أنفاسه؟

أين الذي يفهمك قبل أن تنطق، ويقرأ ملامحك وسكوتك كما تُقرأ الحروف في السطور؟

أين الصديق الـذي يفرح لفرحك كأنّه فرحـه، ويحزن لحزنك كأنّه وجعه؟

الذي إذا زانك زانته صحبتُك، وإذا عابك عابتْه نفسُه.

أيـن ذاك الصديق الذي كان مرآة روحك، وسـكينة قلبك، ونصفك الآخر في الطريق؟

(٧٣) العالِم حين يكون أبًا

مـن أروع ما يُروى عن سـماحة الشـيخ ابن باز رحمـه الله: أن طالبًا اسـتدان منه مبلغًـا كبيرًا، ثم عجز عن السـداد فغاب حيـاءً عن مجالس العلم، فلما رآه الشيخ قال له:

أتترك العلم لأجل الدَّين؟ عفا الله عنك.. قد سامحتك فيه.

خلقٌ يذكّر بفضل إنظار المعسـر، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عنْه، أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّه»[1].

(٧٤) في بيتنا مريض

يا من ابتُليتَ بمريض: إيّـاك والضجر أو الملل، فلعلّ هذا المريض بابُ رحمةٍ لك وأنت لا تشعر.

(١) رواه مسلم (٣٠٠٦).

فكم من بلاء صار سبب نجاة.

وأيها القائمون على المرضى: أشدّ ما يؤلم المريض ليس الوجع، بل شعوره أنه عبءٌ على أهله.

فاصبروا وأحسنوا؛ فصبركم اختيار، وأجركم عظيم.

إحسانكم لا يضيع، ورحمة الله قريبة منكم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٦].

وخدمة المرضى باب رزق ونصر وبركة في البيوت: «إنَّما تُرزَقونَ وتُنصَرونَ بضُعفائِكُم»(١).

فهم بركة بدعائهم، ونور في الدور، وسبب توفيقٍ قد لا يُدرَك إلا بعد فقدهم.

فالزموا الدعاء، وحسن الظن، وبثّوا الأمل، واحتسبوا الأجر؛ فمن رحم الألم يولد الأمل.

(٧٥) إيناسُ الوَحشان

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئًا...ولو أن تُؤنِسَ الوَحشان»(٢).

---

(١) صحيح أبي داود (٢٥٩٤).

(٢) رواه أحمد بسند صحيح (٣/ ٤٨٢).

والوَحشةُ تكون من همٍّ، أو وحدةٍ، أو خوف.

والمقصود بالوحشان: الغريب والمستوحش.

وإيناسه يكون بكلمةٍ لطيفة، أو فعلٍ جميل، يطمئن القلب ويخفف الألم.

ولهذا كان من المعروف أن تُسلّي المهموم، وتُؤنس الوحيد، وتُدخل السرور على الحزين؛

حتى قال العلماء: يُستحب لمن رأى صاحبه مهمومًا أن يُحدّثه بما يشرح صدره ويطيب نفسه.

فلا تحتقر أثر الكلمة، فلعلّك تُؤنس بها قلبًا فتُؤجر أجرًا عظيمًا.

(٧٦) راحة القلب أولى

من أسباب السعادة: البُعد عمّا يُحزن القلب ويؤذيه، كاجتناب من لا ترتاح لصحبتهم أو تُؤلمك ذكرياتهم.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوحشيّ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي**»[1]؛ رعايةً للقلب وحفظًا لمشاعره.

(١) رواه البخاري (٤٠٧٢).

(٧٧) حين تُوقِظُكَ المصيبة

القلـوب الحيّة تربط مـا يصيبها بمحطات التقصير، وتراجع نفسـها قبل أن تُلقي اللوم على غيرها.

وقـد ورد عن الفـاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنـه بينما يرمي الجمـار أصابه حجر فشجَّه، فقال: «ذَنْبٌ بِذَنْبٍ وَالبَادي أَظْلَمُ».

يقصد: أن ما أصابه قد يكون بسبب ذنبٍ اقترفه من قبل.

وقال بعض السلف: «إني لأرى أثر معصيتي في خلق دابتي وزوجتي».

فالمؤمـن يدرك أن الذنب ليس حدثًا عابـرًا، بل أثرٌ يمتد إلى القلب والحياة والبركة.

فـربّ نظرةٍ محرّمـة، أو غيبةٍ عابـرة، أو كلمةٍ كِبرٍ، أو لحظةِ حسـد، تحرمك من لذة طاعة، أو تسلبك توفيقًا كنت تتمناه.

لذلك.. كلما نزلت بك مصيبة، أو ضاقت بك الحال، فاسأل نفسك: ما الذنب الذي أذنبته؟

فمراجعة النفس أول الطريق إلى الرفعة، والتوبة باب لا يُغلق.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٦٥].

(٧٨) عندما يوجعك ما ليس فيك!

يُحكى أن رجلًا فقيرًا زار أحد الأغنياء، فقرّبه إليه وقدم له طبقًا من الحساء.

لمّا همَّ الفقير أن يشرب، رأى في الإناء شيئًا يشبه الدودة، لكنه استحيا أن يذكر ذلك لصاحب البيت، فشرب الحساء على مضض، ثم بدأ يشعر بآلامٍ في بطنه كأنها تقلبات موجعة.

فلمّا لاحظ صاحب الدار تغيّره، قال له: «يبدو أنك متألم.. عندي لك دواء».

جاءه بالدواء، وما إن بدأ يشرب حتى رأى الشيء نفسه داخل الكأس! عندها لم يسكت، وقال لصاحب الدار: «هناك دودة في الدواء!»

ابتسم الرجل وقال مطمئنًا: «ليست دودة.. إنما هو انعكاس الضوء من السقف، فشكل المصباح يشبه الدودة. «سكت الفقير لحظة، ثم قال: «إذن.. أنا لم آكل دودة؟» قال: «لا».

قال: «إذن.. أنا لست مريضًا!» وهكذا أدرك أن الألم الذي شعر به لم يكن إلا صناعة وهمٍ رسمه في ذهنه.

الرسالة: كثيرٌ من آلامنا ليست حقائق.. بل ظنونٌ كبَّرناها، وصورٌ صدّقناها، وأوهامٌ سمحنا لها أن تسكن قلوبنا. وما إن ينكشف الضوء.. حتى يزول الوجع كله.

(٧٩) أشد العقوبات: قسوة القلب

كنتُ أتأمّل في آيات القرآن وما قصَّه الله عز وجل علينا من أصناف العقوبات التي أُنزِلت باليهود جزاء ما اقترفوا من فسادٍ وبغي، فاستوقفتني عقوبةٌ تهزّ القلب حقًا، وهي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة: آية ١٣].

إنها ليست عقوبةً عابرة، بل من أشدّ ما يُبتلى به العبد؛ أن يُحرم لين القلب، فلا يتذكّر، ولا يتأثر، ولا ينتفع بالمواعظ.. كأن النور يمرّ على قلبه فلا يجد إليه سبيلًا.

ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ضُرِب عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلبِ والبعدِ عن الله»[(١)].

فنعوذ بالله من قلبٍ لا يخشع، ومن عينٍ لا تدمع، ومن نفسٍ لا تستيقظ.

(٨٠) حين يُصلي القلب قبل الجسد

دخل المسجد وقد غمر وجهَه نورٌ يسطع، فألقى السلام عليّ بلطف، ثم وقف يستعد لتحية المسجد. كبّر في سكونٍ مهيب وخشوعٍ ظاهر، تحدّث عنه ثبات جوارحه وجمال أدائه.

(١) الفوائد (١/ ٩٧).

ركع بطُمأنينة، ورفع بطُمأنينة، ثم هوى إلى السجود خاضعًا متذلّلًا، كأنما يفتح صدره لرحمةٍ تتنزّل عليه.

كنت أتابع حركاته وسكناته مأخوذًا بالمشهد، حتى شعرت أنه ليس بيننا، بل في عالمٍ آخر ينساب فيه مع لذة القرب من الله. وحين فرغ من صلاته، سألت نفسي:

لمَ طالت صلاته؟ ولمَ لا تكون صلاتي مثل صلاته؟

عندها أدركت أن لذّة الصلاة هي السر؛ من تذوّقها أطال، ومن فقدها استعجل.

وأن المستعجلين في صلاتهم لم يذوقوا بعدُ جمال الصلاة وروحها وأنوارها.

(٨١) أسبوعٌ يمرُّ كأنه يوم

أتابع حالة أحدهم لا ينشر إلا كلَّ جمعة تذكيرًا بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلما رأيتها شعرتُ أن الأسبوع مضى كأنَّه يوم واحد، وكأن حالته الجديدة امتدادٌ لتلك التي سبقتها.. ما أسرعَ الأيام!

(٨٢) سرعة الأيام وانقضاء العمر

مـا إن ننام إلا ويشـرق نور فجـرٍ جديد، وما إن نسـتيقظ إلا ويحين موعد نومٍ آخر، وهكذا تدور الحياة.

تمر الأيام، تتسـارع الأحـداث، يرحلُ الأحبة، والأموات يسـبقوننا إلى الدار الآخرة، والسعيد من ملأ صحيفته بالصالحات.

فِي رِحلـةِ العُمـرِ والأيَّـامُ مُسـرعَـةٌ

لا تنـسَ مَن أنـتَ، أو مَا وجهةُ السَّـفَرِ

(٨٣) رحلةٌ لابد منها

مـا نحنُ في الحقيقـةِ إلا جنائزُ مؤجَّلة، نمشـي علـى الأرضِ اليوم، وغدا نكون في باطنها،

جنائـز الغدِ تتنفَّـسُ بيننا الآن، رحيـلٌ يتلوهُ رحيـل، وأخبارُ الموتِ تهبطُ كالصواعقِ على القلوب،

كلُّهـم تركوا الدنيـا بما فيها وراءهـم، وحتما سـيأتي يومُنا الموعود لنرحل نحنُ أيضًا، فيا من ما زلتَ تُمهَل، أعدَّ العدّةَ لسـفرٍ لا رجوعَ منه، وأحسنْ زادَك للقاءٍ لا يُؤجَّل.

(٨٤) لا تخف من الموت يا مؤمن

المغـترب عن أهله ووطنـه يعيش كلَّ يـومٍ على نار الشـوق، ينتظر لحظـة العودة بلهفةٍ لا تهدأ، حتى إذا جاء موعد اللقاء كان أسـعد الناس قلبًا وأبهجهم روحًا.

وهكـذا المؤمـن في هـذه الدنيـا؛ غريـبٌ ينتظـر العودة إلـى موطنه الحقيقي: جنّاتِ عدن.

وقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابـنَ عمر فقال: «**كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو كعابرِ سـبيلٍ**»[1]؛ فحياة المؤمن هنا محطة عبور، ودار ممر لا دار مقر.

أيها المؤمن:

لا تخف من الموت، فهو رحلةُ عودةٍ للوطن الجميل؛ رحلةٌ للقاءٍ لا فراق بعده، ولا حزن، ولا فقر، ولا وجع، ولا نصب.

فحيَّ علـى جنّاتِ عـدن؛ فإنها ... منازلُنـا الأولى، وفيهـا المخيّم
ولكنّنـا سَـبْيُ العدو فهـل تُرى ... نعـودُ إلـى أوطانِنـا ونسـلَم؟

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٨٥) رحلة المؤمن إلى دار الراحة

الموت عند المؤمنين ليس فناءً، بل رحلةُ انتقالٍ إلى دارٍ لا يمسُّهم فيها نَصَبٌ، وفي النعيمِ يتقلَّبون؛ دار سلامٍ وطمأنينةٍ لا تنقطع.

وفي الحديث المتفق على صحته: «العبدُ المؤمنُ يَستريحُ من نَصَبِ الدُّنيا وأذاها».

فإذا أثقلتْكَ همومُ الدنيا، وتتابعت مشاقُّها، فتذكّر أن للمؤمن راحةً موعودة، وسعادةً مقيمة، وأن الموت بوابةٌ لحياة أطيب، جزاءَ من صَدق مع الله وسار إليه بقلبٍ سليم.

(٨٦) معارج الهدى ومهاوي الهوى

الناس فريقان في مسيرهم:

* فريق سلك معارج الهدى؛ جعل الإيمان أصلًا، والقرآن دليلًا، والعمل الصالح زادًا، فعلم أن الدنيا اختبار، وأن الهدى نور يقوده إلى سكينةٍ في الدنيا ونعيمٍ في الآخرة.
* وفريق اتبع الهوى؛ أطلق لشهواته العنان، فظن اللذة سعادة، فانحدر إلى الخسارة والهلاك، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: الآيات ٣٧-٣٩].

والفارق بيّن: طريق الهدى تعبٌ يسير، يعقبه رضًا وأمان، وطريق الهوى لذّةٌ عابرة، يعقبها ندمٌ وحسرة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات: الآيات ٤٠-٤١].

(٨٧) ما حُسن الخاتمة؟

ليس حُسنُ الخاتمة مقصورًا على من مات ساجدًا أو والمصحف في يده؛ فقد كانت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على فراشه، وكانت لأبي بكرٍ الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو على فراشه.

حُسنُ الخاتمة أن تلقى الله وقد برئتَ من الشرك والنفاق، وأن تموت وليس في ذمّتك حقٌّ لأحدٍ من الخلق في دينٍ أو دنيا.

أن تلقاه وقد استبرأتَ من المظالم، وطهّرت لسانك من غيبةٍ ونميمة، وبرئتَ من أذى الناس بقولٍ أو فعل.

حُسنُ الخاتمة أن تموت وأنت تائبٌ راجعٌ إلى الله، وقلبك معلّق به، مُشتاقٌ للقاء ربك جَلَّ وَعَلَا.

فالسعيد: من أصلح سريرته قبل أن تُطوى صحيفته.

(٨٨) صحوةٌ قبل الفوات

كثيرٌ من الناس غرقوا في الدنيا وغفلوا عن الموت والآخرة، ولو رأى العبد حقيقة الآخرة لندم على تفريطه ولأقبل على ربه بقلب منيب.

فعودوا إلى الله.. أحسنوا الصلاة، الزموا القرآن، وأكثروا من التوبة والاستغفار؛ فالسعيد من استيقظ قبل أن يوقظه القبر.

(٨٩) فراقٌ لا يُطاق

يُحدثني أحد الأصدقاء، وهو مدير مدرسة، أنه دخل يومًا على المرشد الطلابي، فوجد عنده طالبًا من الصف الأول الثانوي، والمشهد كان صادمًا؛ المرشد يبكي، والطالب يبكي!!

لم يستطع الجلوس، أغلق الباب بهدوء وخرج.. فالألم كان أكبر من سؤال عابر.

بعد فترة أخبره المرشد بالحقيقة: الطالب جاء يشكو وجعًا عمره سنوات.. يقول إن آخر اتصال له بأمه كان وهو في الصف الثالث الابتدائي!!

اتصال واحد فقط.. لم يرها، ولم يسمع صوتها، ولم يحتضن دفئها منذ أكثر من سبع سنوات.

يا الله.. أي كسرٍ هذا الذي يحمله قلب صغير؟

وأي قسوةٍ تلك التي يطيقها قلب أبٍ يرضى بهذا الفراق؟

أي قلـوب هذه التي تقطع أمًّا عن ولدهـا، وولدًا عن أمّه، بلا رحمة ولا شفقة؟

حقٌّ لهذا الطالب أن يبكي،

وحقٌّ للمرشد أن ينكسر،

وحقٌّ للمدير أن يصمت،

وحقٌّ لنا جميعًا أن تبكينا هذه القصة الموجعة.

وتقفز إلى القلب مباشـرة كلمات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن فرَّق بين والدةٍ وولدِها، فرَّق اللهُ بينه وبين أحبّتِه يوم القيامة**»(١).

وتعـود إلـى الذاكرة تلـك الحُمَّرة التي جـاءت تُرفـرف بجناحيها، بعدمـا أُخذ صغارها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**مَن فَجَعَ هذِهِ بولدِها؟ رُدُّوا ولدَها إليها**»(٢).

رحمـةٌ بطائـرٍ.. فكيف بالإنسـان! بل كيف بقلـب أمٍّ، وروح طفل، ودمعةٍ لا تجد من يمسحها!

---

(١) صحيح الترمذي (١٥٦٦).

(٢) صحيح أبي داود (٥٢٦٨)

(٩٠) ما لا ينفع ليس بزينة

ما أبدع ما ذكـره الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الكهف: آية ٤٦].

حيث قال: «إِنَّمَا كَانَ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ فِي الْمَالِ جَمَالًا وَنَفْعًا، وَفِي الْبَنِينَ قُوَّةً وَدَفْعًا، فَصَارَا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»(١).

المـالُ الذي لا ينفعُك، ولا يُجمِّلُك أمام الناس، ولا يمتدُّ خيرُه إلى الآخرين؛ مالٌ لا قيمة له.

والأبناءُ الذين لا يكونون حِصنًا، ولا دفعًا، ولا قوّة؛ قد أضاعوا والله آباءهم.

(٩١) حين يكون الثبات رسالة

مـن أجمل مفاجآت يوم القيامة أن يأتي ثباتك، فيجرُّ خلفه جبالًا من الحسنات، لم تعملها بيدك،

لكنها نبتت من آثار من اقتدوا بك وأنت صامت.

ثباتك دعوةٌ بلا كلمات، وموعظةٌ بلا منبر، ورسالةٌ تمضي في القلوب من غير خطاب.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤١٣).

قولوا للثابتين:

لقد وصلت رسالتكم.. رأيناكم فاشتدّت قلوبنا، واعتزازكم بمبادئكم كان وقودنا في الطريق إلى الله.

(٩٢) ازرع ما يبقى

نحن لا نغادر هذه الدنيا كما دخلناها؛ كلُّ واحدٍ منّا يتمنى أن يترك خلفه أثرًا يدلّ عليه بعد الرحيل.

فمن الناس من يزرع زهرةً تبهج العيون ثم لا تلبث أن تذبل، ومنهم من يغرس شجرةً تظلّل غيره وتؤتي ثمرها، وقليلٌ من يضع أثرًا كالجبل ثابتًا، راسخًا، لا تزيده الأيام إلا حضورًا.

سنمضي جميعًا، ولن يبقى لنا إلا ما قدّمناه:

عملٌ صالح، أو صدقةٌ جارية، أو علمٌ نافع، أو قلبٌ ربّيناه على الخير.

وليس كلُّ الناس يملكون المال، ولا كلُّهم أُوتوا العلم، لكن الله أعطى الجميع نعمةً لا تُحجَب: الفكرة.

فكرةٌ صادقة قد تُنقذ إنسانًا، وقد تفتح باب أمل، وقد تكون بدايةَ خيرٍ يتناسل أثره ولا ينقطع.

فكّر في فكرةٍ للدعوة، أو للإصلاح، أو للعلم، أو للطب، أو الهندسة، أو الاقتصاد... فميادين الخير لا حدّ لها..

تصدّق بفكرة، احملها في قلبك، نم بها واصحُ معها..

طوّرها وشاركها، فلعلّها تكون أثرك الباقي.. وصدقتك الجارية بعد الرحيل.

(٩٣) كن نبيلا

قد يسبقك قرينك أو يتفوق عليك طالبك، فلا تحزن ولا تحسد بل افرح لنجاحه، ففرح المؤمن بإنجاز إخوانه دليل على نقاء القلب وصلاحه، أما الحسد وعدم الفرح بنجاح الآخرين فهو من صفات المنافقين: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [سورة التوبة: آية ٥٠].

كن نبيلا بتهنئتك لغيرك، ترتق بنفسك.

(٩٤) سجودُ العين

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير التأمّل في ملكوت الله؛ يرفع بصره إلى السماء اعتبارًا وتفكّرًا.

فقد ثبت أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام في الليل نظر إلى السماء وتلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ١٩٠].

وكان إذا تحدّث عن القدر رفع رأسه إلى السماء، ثم وجّه إلى العمل والجدّ، لا إلى الاتكال.

وسجود العين هو رفع البصر بإجلالٍ ورجاء؛ ولا يليق أن يُصرف إلا لله، فهو يورث في القلب تعظيمًا، وفي النفس افتقارًا.

وعند الشدائد، يكون رفع العين إلى السماء إعلانًا صامتًا: أن لا مُعظَّمَ في القلب إلا الله، ولا مُرتجى إلا عطاؤه.

(٩٥) سر القبول

القبولُ سِرٌّ من أسرار التدبير الإلهي؛ ينشره الله لأهله ثناءً حسنًا، ومحبةً في القلوب، بلا سعيٍ منهم.

لا منصّات، ولا أضواء، ولا شهرة.. ومع ذلك إذا رحلوا تفجّر لهم حبٌّ عجيب، وتسابق الناس في الدعاء والترحّم، حتى ممّن لا يعرفهم.

سرٌّ يتعذّر شرحه، ولا يُفسَّر إلا بنداءٍ علويٍّ: «إني أحبّ فلانًا فأحبّوه».

(٩٦) الخسارة بعينها

ستصفُ بالجنون مَن يترك النور ليغرق في الظلام، ومَن يرضى بالعطش وهو يرى الماء البارد العذب بين يديه، ومع ذلك فحالُ كثيرٍ منّا اليوم هكذا تمامًا؛ أعرضوا عن القرآن، فاستبدلوا النورَ بالظلمة، والريَّ بالعطش. يا لها من خسارةٍ فادحة.

(٩٧) دواء الروح

من جميل ما قرأت:

كنتُ كلَّما استعملتُ القُرآن رأيتُ الشِّفاء فِي نفسِي، فإذا ابتعدتُ عنهُ عادَت إليَّ أسقامِي.

(٩٨) إذا وجدتَ البركة فالزم

يُؤثَر عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلمةٌ جامعة نافعة: «مَن بُورِكَ له في شيءٍ فليلزمه».

كلمةٌ لو وُزِنَت بالذهب لَراجَحَتْه؛ فهي تختصر طريق النجاح: إذا فتح الله لك بابًا، ورأيت فيه بركةً وثمرةً، فاثبت عليه، فالبركة دليل التوفيق، والاستمرار مفتاح الزيادة.

(٩٩) من يدعو لك أيها التائب؟

وأنا أتلو سورة غافر توقّفتُ طويلًا عند آيةٍ تجبر القلب وتفتح أبواب الرجاء.

آيةٍ لو تدبّرها العبد ما تردّد لحظة في الرجوع إلى الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [سورة غافر: آية ٧]

تأمّل: من يدعو لك؟

حَمَلَةُ العرش، ومن حوله.. خلقٌ عظيم، عددًا وقدرًا.

يدعون لك بـ: مغفرة الذنوب، الوقاية من عذاب الجحيم، ودخول جنات عدن لك ولأهلك، والسلامة من السيئات.

أيُّ فضلٍ أعظم من هذا؟ ربٌّ يفرح بتوبتك، وملائكةٌ عظام تستغفر لك.

فلمَ التردّد؟ الباب مفتوح... والرحمة أوسع من الذنب.

(١٠٠) تحيةٌ أخيرة

إن وصلتَ إلى هنا.. فأنت لست قارئًا عاديًّا، بل شريكُ روح، وصديقُ بوح، وإن لم نلتقِ.

يكفي أنك قرأتَ بقلبك، فصار بيننا ودٌّ لا تصنعه الكلمات، ولا تنقضه المسافات.

ختاما:

وفي ختام هذا البوح... أسأل الله أن يجعل هذا البوح نورًا نافعًا، وأثرًا باقيًا، ويكتب له القبول، وينفع به الكاتب والقارئ.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

الفهرس

- المقدمة ٤
- (١) للكلمة وقعٌ ٦
- (٢) أثرٌ لا يُمحى ٦
- (٣) أنتَ حُرٌّ ما لم تَضُرّ ٧
- (٤) العطور أم الصخور ٨
- (٥) الكلمة الطيبة تُورِث المودّة ٨
- (٦) قيمة الكلمة الطيبة ٩
- (٧) الكلمة الرائقة .. فنٌّ تربوي ٩
- (٨) رُبَّ كلمة أحيت قلبا ١٠
- (٩) بعض الكلمات نجاة ١١
- (١٠) مفتاح القلوب ١٢
- (١١) المعيار الحقيقي للأخلاق ١٢
- (١٢) فَنُّ التَّغافُل... خُلُقُ الكِبار ١٢
- (١٣) راحة القلب في التغافل ١٣
- (١٤) لا تُعاتب ولا تُطالب ١٣

- (١٥) القلوب الحاضرة في زمن الغياب ١٤
- (١٦) مسافة الأمان ١٤
- (١٧) لا تكن كتابًا مفتوحًا ١٥
- (١٨) كُن جبلًا لا زبدًا ١٥
- (١٩) لا تُقابل النار بالنار ١٦
- (٢٠) لغة المصالح وانقلاب الكلمات ١٧
- (٢١) ستر الله .. نعمةٌ لا يفقهها إلا العارفين ١٨
- (٢٢) حقيقة السعادة ١٨
- (٢٣) القناعة ربحٌ لا يخسر ١٩
- (٢٤) هل حياة المشاهير كما نظن؟ ١٩
- (٢٥) قِيمَتُكَ لا تُقاسُ بما تَملك، بل بما تُقدِّم ٢٠
- (٢٦) جودةُ الحياة في العطاء ٢٠
- (٢٧) الإحسان طريق الزيادة والرفعة ٢١
- (٢٨) كُونُوا دِفْئًا لِشَتَائِهِمْ ٢٢
- (٢٩) الله لا ينسى خيرًا صنعته ٢٢
- (٣٠) كن لطيفا ٢٣

- (٣١) من خُلُقُ الأنبياء نسبةُ الفضلِ إلى الله ٢٣
- (٣٢) بركة عملٍ صغير ٢٤
- (٣٣) التوفيق أعظم من الشهادات ٢٤
- (٣٤) تكلّم حتى أراك ٢٥
- (٣٥) هكذا يختلف القادة العظماء عن غيرهم ٢٦
- (٣٦) المَجدُ يُنال بالجِدّ لا بالجَدّ ٢٦
- (٣٧) منازلُ السّادة لا تُنال بالوِسادة ٢٦
- (٣٨) العِلمُ يُقيَّدُ بالكتابة ٢٧
- (٣٩) إنَّما العِلمُ الخَشْيَة ٢٧
- (٤٠) تحدّي هذا العصر ٢٨
- (٤١) لم تُخلق لإبهارهم! ٢٨
- (٤٢) لا تلتفت .. خلفك ضجيجٌ لا يصنع مجدًا ٢٩
- (٤٣) أنت ابن اليوم ٢٩
- (٤٤) ما أحوجنا إلى يقين الأطفال ٢٩
- (٤٥) التربية على الطمأنينة لا على الخوف ٣٠
- (٤٦) المؤمنُ لا يخسر أبدًا ٣١

- (٤٧) مع الله.. لا ينطفئ الأمل ٣١
- (٤٨) لُطفُ الله الذي يُطمئن القلوب ٣١
- (٤٩) طمأنينة الطيبين ٣٢
- (٥٠) ألا يكفيك..؟ ٣٢
- (٥١) قف على الباب ٣٣
- (٥٢) الذكر يُليّن الطاعة ٣٤
- (٥٣) لا تستهِن بالاستغفار ٣٤
- (٥٤) مفتاحان لتغير حياتك ٣٥
- (٥٥) كلما زدتَ وِردًا زادك اللهُ فرجًا ٣٥
- (٥٦) ميزان الإيمان ٣٦
- (٥٧) حين تُغتال القلوب ٣٦
- (٥٨) القرآن حياة القلوب ٣٦
- (٥٩) إذا ضاق بك الأمر فاسجد ٣٧
- (٦٠) الله أكبر والتلفزيون أصغر ٣٧
- (٦١) الفجر مفتاح يومك وبركته ٣٨
- (٦٢) ثلاثية التيسير ٣٨

- (٦٣) لا تأمن الفتنة ٣٨
- (٦٤) الطريق إلى كسر سلطان الشيطان ٣٩
- (٦٥) حين تحدثت أمي تغير شيء في داخلي ٤٠
- (٦٦) لحظاتٌ تكشف حقيقة النعم ٤٠
- (٦٧) ذكريات تصنعها القلوب ٤١
- (٦٨) موقفٌ عابر .. بقي في قلبي دهرا ٤١
- (٦٩) غلاء الهدايا وفقر المعنى ٤٢
- (٧٠) التنمّر جريمة ٤٣
- (٧١) الأخ عمود الروح ٤٤
- (٧٢) أين الصديق! ٤٤
- (٧٣) العالِم حين يكون أبًا ٤٥
- (٧٤) في بيتنا مريض ٤٥
- (٧٥) إيناسُ الوَحشان ٤٦
- (٧٦) راحة القلب أولى ٤٧
- (٧٧) حين تُوقِظُكَ المصيبة ٤٨
- (٧٨) عندما يوجعك ما ليس فيك! ٤٩

- (٧٩) أشد العقوبات : قسوة القلب ٥٠
- (٨٠) حين يُصلي القلب قبل الجسد ٥٠
- (٨١) أسبوعٌ يمرُّ كأنه يوم ٥١
- (٨٢) سرعة الأيام وانقضاء العمر ٥٢
- (٨٣) رحلةٌ لابد منها ٥٢
- (٨٤) لا تخف من الموت يا مؤمن ٥٣
- (٨٥) رحلة المؤمن إلى دار الراحة ٥٤
- (٨٦) معارج الهدى ومهاوي الهوى ٥٤
- (٨٧) ما حُسن الخاتمة؟ ٥٥
- (٨٨) صحوةٌ قبل الفوات ٥٦
- (٨٩) فراقٌ لا يُطاق ٥٦
- (٩٠) ما لا ينفع ليس بزينة ٥٨
- (٩١) حين يكون الثبات رسالة ٥٨
- (٩٢) ازرع ما يبقى ٥٩
- (٩٣) كن نبيلا ٦٠
- (٩٤) سجودُ العين ٦٠

- (٩٥) سر القبول ٦١
- (٩٦) الخسارة بعينها ٦١
- (٩٧) دواء الروح ٦٢
- (٩٨) إذا وجدتَ البركة فالزم ٦٢
- (٩٩) من يدعو لك أيها التائب؟ ٦٢
- (١٠٠) تحيةٌ أخيرة ٦٣
- الفهرس ٦٤

❊❊❊